تراجم لأشهر علماء مصر الإسلاميَّة

ودونك ترجمة موجزة لأهم علماء مصر الذي ساهموا في الحضارة الإسلاميَّة بجهد وافر .

الليث بن سعد (٩٤ – ١٧٥ هـ)

ولد في قرية مصريَّة سنة ٩٤هـ اسمها قلقشندة وتعلَّم على شيوخ مصر، ثمَّ رحل إلى الحجاز وسمع من شيوخها ، ثم رحل إلى العراق وسمع علماءها ، وكان غنيّاً ثريّاً ، وناحيته العلميَّة كناحيته الماليَّة غزيرة فيَّاضة ، والمحدَّثون يثقون بحديثه كلَّ الثقة ، روت عنه كل الكتب الستة الصحيحة قال فيه أحمد بن حنبل : "ما في المصريين أثبت من الليث .. ما أصحَّ حديثه" ، وقدرته الفقهيَّة قدرة فائقة فهو يقرن بمالك ، بل يقول الشافعي : " الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به " وفي الواقع لو تعصَّب المصريون لمن نبغ منهم لاحتفظوا بمذهبه ، ولكانوا أتباعه ، وكان مما أعان على ذلك أنه لم يدوِّن مذهبه في كتب ، ولم يرزق بأصحاب كما كان أبو يوسف ومحمد لأبي حنيفة، والبويطي والمزني والربيع للشافعي فضاع مذهبه . طلبه الخليفة المنصور للقضاء فأبى ، وكان له المنزلة الكبرى عند الأمراء يستشيرونه في مهام الأمور جاء في النجوم الزاهرة : " كان الليث كبير

الـديار المـصريَّة ورئيـسها ، وأميـر مـن بهـا فـي عـصره ، بحيـث أن القاضـي والنائـب مـن تحـت غمرتـه ومـشورته ، وكـان الـشافعي يتأسَّـف على فوات لُقِيِّه " ويؤثر عنه أنه لقي هارون الرشيد فسأله الرشيد : " ما صـلاح بلادكـم قـال يـا أميـر المـؤمنين ، صـلاح بلادنـا إجـراء النيـل ، وصـلاح أميرها ، ومِنْ رأس العين يـأتي الكدر ، فإذا صـفا رأس العين صفت العين " . وعلى الجملة فكان رجل مصر في علمه ونبله وفضله مات ١٧٥ هـ . (١)

الشافعي (١٥٠ – ٢٠٤ هـ)

وُلِد بعسقلان وهي من قرى غزَّة ، ثمَّ سافرت بـه أمَّـه إلـى مكَّـة حتـى لا يضيع نسبه وينشأ على ما ينشأ عليه ضرباؤه من قبيلته قريش فقدم مكة وعنده قريباً من عشر سنوات ، ثمَّ أخذ في دراسة الفقه على يد شيوخه بمكة وبرع فيه ، وأراد أن يلتقي الإمام مالك فرحل إلى المدينة ولازمه حتى وفاته سنة ١٧٩ هـ ، ثم سافر إلى اليمن فارتفع شأنه بها ، وطار صيته فيها ، وبسبب مؤامرة دُبِّرت له استدعاه الرشيد إلى العراق وعفا عنه بعد محاورته ، وفي بغداد درس الشافعي الفقه الحنفي فجمع بين الإمامين الكبيرين : أبو حنيفة ، ومالك ، وحقد عليه بعض العلماء المقربين إلى الخليفة فخرج من بغداد إلى مكة وأقام بها مدَّة ينشر علمه على الحجَّاج القادمين إلى مكة ، وفي سنة ١٩٥ هـ عاد إلى بغداد ، وأقام بها سنتين يدرِّس فيها العلم ، وفي عام ١٩٨ هـ خرج إلى مصر إذ

---

(١) أحمد أمين " ضحى الإسلام " مرجع سابق ص ٨٨– ٩٠ بتصرف .

أنه سمع شيئاً عن مصر وأهلها فحبب إليه الذهاب إليها ؛ ليقوم بنشر علمه ، وكان الليث ابن سعد الفقيه المصري الكبير قد مات من قبل ، وفرح المصريون بالشافعي ورحَّبوا به ترحيباً عظيماً واحتفوا بقدومه وأنزلوه منزلاً كريماً لما عرفوا عنه من علم وفضل ، وقد تزوج الشافعي في مصر ولم يغادرها حتى توفيَّ فيها عام ٢٠٤ هـ ، واغتمَّ المصريون لموته غمّاً عظيماً ، وجزعوا لوفاته جزعاً شديداً . (١)

وعلى الجملة كانت في مصر حركة كبيرة دينيَّة ، تدرِّس القرآن والحديث والفقه والقراءات ، وتعنى بالقَصَص ، وما يتضمن من ترغيب وترهيب ، وكان مركزها مسجد عمرو بن العاص بالفسطاط ، ونرى أن بعض المصريين الصميمين ممن دخلوا في الإسلام تأثَّر بهذه الحركة تثُّراً كبيراً فنرى عثمان بن سعيد المصري المعرف بوَرْش من أصل قبطي اشتهر بإحدى القراءات المنسوبة إليه ، وانتهت إليه رياسة الإقراء بالديار المصريَّة في زمانه ، وكان ماهراً في العربيَّة ؛ مات بمصر سنة ١٩٧ هـ ونرى بعده ذا النون المصريّ الأخميمي النوبي الأصل وهو أحد رءوس الصوفيَّة الصوفيَّة ومؤسسها في الديار المصريَّة توفي سنة ٢٤٥ وقد قارب التسعين . (٢)

وكان من الأعلام في التاريخ والنحو والأنساب أبو محمد عبد الملك بن هشام ، صاحب السيرة المنسوبة إليه توفي سنة ٢١٣ هـ ، وإلى

---

(١) انظر د. علي جمعة " موسوعة أعلام الفكر الإسلامي " المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ص ٤٨٣ ، ٤٨٤ .

(٢) أحمد أمين " ضحى الإسلام " مرجع سابق ص ٩٢ بتصرف .

جانب الحركة العلميَّة الدينيَّة كانت هناك ناحية علميَّة هي امتداد مدرسة الإسكندريَّة قبل الفتح هي حركة لاهوتيَّة طبيَّة فلسفيَّة معاً ، وقد بقيت هذه الحركة مدة العهد الأموي واستمرت إلى العباسي ، وقد ازدهرت هذه الحركة في العهد الطولوني أيضاً .

ثقافة دينيَّة مختلفة الأنواع ، وثقافة لسانيَّة من نثر وشعر ، وثقافة فلسفيَّة لاهوتيَّة طبيَّة مما خلفته الإسكندريَّة كل ذلك كان في مصر في ذلك العصر . (١)

ولم يقتصر علماء مصر على علوم الدين واللغة والعلوم الإنسانيَّة بل كان هناك علماء مصريون بارزون في مجال العلوم الطبيعيَّة والرياضيَّة والفَلَكيَّة ارتبطت أسماؤهم بمصر حيث نبغوا في ربوعها وحققوا شهرته فيها ومن هؤلاء العلماء .

الحسن بن الهيثم (٣٥٤ - ٤٣٠ هـ)

أعظم علماء مصر والعالم في الفيزياء والفلك والرياضيات في العصور الوسطى وأحد ثلاثة يزدهي بهم تاريخ العلم العربي ، وهم ابن سينا ، وابن الهيثم ، والبيروني ، بلغت الحضارة العلميَّة الإسلاميَّة في عهدهم الذروة ، وذلك من منتصف القرن العاشر إلى منتصف القرن الحادي عشر الميلادي ولعلَّه بين علماء الطبيعة الإسلاميين أرفعهم شاناً وأعلاهم كعباً وأرسخهم قدماً ، وربما عُدَّ في مقدمة علماء الطبيعة في جميع العصور . (٢)

---

(١) نفسه ص ٩٥، ٩٦ بتصرف .

(٢) د. عبد الحليم منتصر " معجم أعلام الفكر الإنساني " ج ١ الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٣١٣ .

هذا العالم العظيم ولد حوالي ٣٥٤ هـ وعاش أول أمره بها ثمَّ انتقل إلى القاهرة بدعوة من الحاكم بأمر الله ، وفيها عاش أغلب عمره وألَّف معظم كتبه وتوفي بها عام ٤٣٠هـ .

ابن النفيس (٦٧- ٦٨٧هـ)

مكتشف الدورة الدمويَّة الصغرى وأحد رواد علم وظائف الأعضاء ولد في بلدة (القرَش) التي تقع بقرب دمشق عام ٦٠٧هـ درس ابن النفيس الطب في دمشق وكانت وقتئذ قد ورثت شهرة بغداد ، وأنشأ فيها نور الدين محمود بن زنكي مكتبة ضخمة ، والبيمارستان النووي ، ودعا إليها أمهر العلماء ثمَّ انتقل ابن النفيس إلى القاهرة حوالي عام ٦٣٣هـ وتدَّرج في مراكز الأطباء حتى أصبح رئيس أطباء مصر قاطبة ولم تقتصر شهرته على الطب فقط، بل كان يعد من كبار علماء عصره في اللغة والفلسفة والفقه والحديث. وتوفي القاهرة عام ٦٨٧هـ . (١)

ابن يونس المصري (القرن الرابع الهجري)

ولد بقرية صدفا بصعيد مصر حوالي عام ٣٤١هـ وهو سليل بيت اشتهر بالعلم فقد كان جدُّه من كبار العلماء وأبوه من كبار الحفاظ والمحدِّثين ، أما هو فقد عني بالفَلَك ودراسة سير الكواكب وعُدَّ من كبار الفلكيين العرب . أسس مرصد ابن يونس الذي كان جزءاً من دار الحكمة في القاهرة التي شيدها الفاطميون لينافسوا بها دار الحكمة في بغداد ، وكان مزوداً بكثير من آلات الرصد . وضع ابن يونس جداول

(١) انظر بول غليونجي " معجم أعلام الفكر الإنساني " ج ١ مرجع سابق ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

فلكيَّة جديدة هي أدق ما عرف في عصره ووضع " الزج الحاكمي الكبير " وأدَّت أرصاده إلى تحسين قيم الثوابت الفلكيَّة وحلَّ قدراً من مسائل الفلك الكروي بالإسقاط والتعامد . (١)

سبق ابن يونس جاليليو في اختراع بندول الساعة وهو الذي رصد كسوف الشمس وخسوف القمر عام ٩٧٨م في القاهرة، وأثبت فيها تزايد حركة القمر، وحسب ميل دائرة البروج فجاءت أدق ما عرف قبل إدخال الآلات الفلكيَّة الحديثة. وتقديرا لجهوده الفلكية، تم إطلاق اسمه على إحدى مناطق السطح غير المرئي من القمر.(٢)

كمال الدين الدميري (٧٢٤ – ٨٠٨ هـ)

ولد بصعيد مصر في دميرة عام ٧٢٤ هـ درس بالأزهر الشريف حتى أصبح من أبرز علماء جماعة الأزهر القديمة الذين أرسوا علم الحياة ، وقد أولع بدراسة المخلوقات التي ابتدعها الخالق عز وجل فتوفر على دراسة الحياة الحيوانيَّة وتوفي عام ٨٠٨ هـ من أهم مؤلفاته كتاب " حياة الحيوان الكبرى " وقد تحدَّث فيه عن النواحي العلميَّة المتعلقة بسلوك الحيوانات وتوالدها وخصالها ، ويعتبر كتاب الدميري هذا مزيجاً من العلم والأدب والتاريخ والفلسفة والحديث والقصص وقد تُرْجِم إلى عديد من اللغات ويمكن اعتبار الكتاب بمثابة أوَّل مرجع علمي شامل

---

(١) انظر د. عبد اللطيف محمد العبد " موسوعة أعلام الفكر الإسلامي " مرجع سابق ص ٣٣٣

(٢) موقع المعرفة على الإنترنت .

في علم الحيوان ظهر في القرن الرابع عشر الميلادي في وقت لم تكن فيه علوم الحياة قد ظهرت بعد . (١)

ابن خلدون (٧٣٢- ٨٠٨ هـ)

هو المفكِّر العبقري الذي كان فيلسوفاً اجتماعيّاً مبتكراً ، ولذا يُعدُّ بحق مؤسس علم فلسفة التاريخ ورائد علم الاجتماع ولد في تونس وتلقَّى العلم على يد علماء المغرب والأندلس ثمَّ رحل إلى غرناطة بالأندلس ثم عاد إلى المغرب ليظلَّ بها أربع سنوات ثمَّ رجع إلى الأندلس ثمَّ إلى المغرب ثانية حيث أخذ يدوِّن مؤلفه الكبير " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " ومقدمته الشهيرة ثمَّ سافر بعد ذلك إلى مصر عام ٧٨٤ هـ وعمل بالتدريس بالجامع الأزهر ثمَّ تولى القضاء وظلَّ بمصر يعمل بالقضاء حوالي ثلاثة وعشرين عاماً حتى وافاه أجله عام ٨٠٨ هـ وأثناء وجوده في مصر قام بعدة تعديلات في مؤلفه الكبير . (٢)

وهناك علماء مصريون كثيرون غير هؤلاء أثروا الحضارة الإسلاميَّة وساهموا بجهد وافر في إنشائها ورفعتها .

والشيء الملفت للنظر هو أنَّ تحضُّر مصر وتقدَّمها ونبوغ علمائها ومفكَّريها كان مرهوناً باستقلالها سياسيَّاً ، لا علميّاً لا وثقافيَّا ، عن

---

(١) انظر د. عبد الفتاح غنيمة " موسوعة أعلام الفكر الإسلامي " مرجع سابق ص ٨٦٤

(٢) انظر د. عبد الحليم منتصر " معجم أعلام الفكر الإنساني " ج ١ مرجع سابق ص ٣١٣ ، وانظر د. عبد اللطيف محمد العبد " موسوعة أعلام الفكر الإسلامي " ص ٣٢٩ ، ٣٣٠.

الخلافة العباسيَّة وقيام دولة مستقلَّة فيها (طولونيَّة ، إخشيديَّة ، فاطميَّة، أيوبيَّة ، مملوكيَّة) حيث لا يراعي حكامها إلا مصلحتها ولا ينفقون خيرها إلا على أهلها ، كما يلاحظ أنَّ سقوط مصر في يد العثمانيين كان بمثابة شهادة وفاة لحضارتها ونهضتها ، وفور استقلالها عن الدولة العثمانية في أوائل القرن التاسع عشر أخذت طريقها إلى النهضة والتقدم ثانية .

وفي الصفحات التالية نستعرض في إيجاز شديد تاريخ مصر من الفتح الإسلامي إلى الغزو العثماني ؛ لبيان عوامل ازدهارها وأسباب تخلُّفها في تلك الفترة .

***